والطوفان لغة ما طاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام او نحوه
قال العجاج وغره طوفان الظلام الاثبا فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة
اي الذين كانوا فيها من الغرق وكانوا ثمانية وسبعين نفسا منهم نصفهم
ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن
محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة وجعلناها
اي السفينة او الحادثة والقصة اية اي عبرة وعلامة على قدرة الله
تعالى وعلمه وانجائه الطائع واهلاك العاصي للعالمين لمن بعدهم من
الناس ان عصوا رسولهم فانه لم يقع في الدهر حادثة اعظم منها ولا اغرب
ولا اشهر في تطبيق الماء جميع الارض بطولها والعرض واغراق جميع ما عليها
من حيوان انسان وغيره ولما ذكر تعالى قصة نوح وكان بلاء ابراهيم عليه السلام
عظيما في قذفه في النار واخراجه من بلاده اتبعه به بقوله تعالى وابراهيم
وهو منصوب اما باذكر ويكون اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي خافوا عقابه
بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل ما فيها واما معطوف على نوحا واذ ظرف
لارسلنا اي ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ
قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى ذلكم
اي الامر العظيم الذي هو خلاصكم في عبادتكم له وتقواكم خير لكم اي من كل
شيء ان كنتم تعلمون اي في عداد من يتجدد له علم فينظر في الامور بنظر العلم
دون نظر الجهل ولما امرهم بما تقدم ونفى العلم عن من جهل خيريته
دل عليه بقوله انما تعبدون من دون الله اي غيره اوثانا اي اصناما فلا
تستحق العبادة لانها حجارة منحوتة لا شرف لها وتخلقون اي تصورون
بايديكم افكا اي شيئا مصروفا عن وجهه فانه مصنوع وانتم تسمونه
باسم الصانع ومربوبا وانتم تسمونها اربابا وتقولون كذبا في تسميتها
الهة وادعائكم شفاعتها عند الله ثم ان الله تعالى نفى عنها النفع بقوله تعالى
ان الذين تعبدون ضلالا وعدولا عن الحق الواضح من دون اي غير
الله الذي له الملك كله لا يملكون لكم رزقا اي شيئا من الرزق الذي
لا قوام لكم بدونه وانتم تعبدونها فكيف بغيركم فتسبب عن ذلك قوله تعالى
فابتغوا اي اطلبوا عند الله اي الذي له صفات الكمال الرزق اي
كله فانه لا شيء منه الا وهو بيده فان قيل لم نكر الرزق في قوله تعالى
لا يملكون لكم رزقا وعرفه في قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق اجيب
انه نكره في معرض النفي اي لا رزق عندهم اصلا وعرفه عند الاثبات عند الله
تعالى اي كل رزق عنده فاطلبوه منه وايضا الرزق من الله معروف بقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم

بي٥

فيكون لعدم حصول العلم به فاعبدوه اي عبادة يقبلها وهو ما كان خالصا
من الشرك واشكروا اي اوقعوا الشكر له خاصة على ما افاض عليكم من
النعم ثم علل ذلك بقوله تعالى اليه وحده ترجعون اي بعيني في الدنيا
والاخرة فانه لا حكم في الحقيقة لاحد سواه وحسابا للنشر والحشر
والابرام فيثيب الطائع ويعذب العاصي ولما فرغ من بيان التوحيد
اتى بعده بالتهديد فقال وان تكذبوا اي وان تكذبوني فقد اي
فيكفيكم في الوعظ والتهديد معرفتكم بانه قد كذب امم اي في الازمان
الكائنة من قبلكم اي من قبلكم قبلي من الرسل فجرى الامر فيهم على
سنن واحد لم يختلف قط في نجاة المطيع للرسول وهلاك العاصي ولكن لم
يضر ذلك الرسول شيئا وما اضروا به الا انفسهم وما على الرسول اي
بقهركم على التصديق بل ما عليه الا البلاغ المبين الموضح مع ظهوره في
نفسه للامر بحيث لا يبقى فيه شك باظهار المعجزات واقامة الوحدانية
على الادلة تنبيه في المخاطب بهذه الاية والايات بعدها الى قوله تعالى
فما كان جواب قومه وجهان الاول انه قوم ابراهيم لان القصة له فكان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لقومه ان تكذبوني فقد كذب امم
من قبلكم وانما اتيت بما علي من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا التبليغ
والبيان فان قيل ان ابراهيم لم يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة
اجيب بان قبل قوم نوح ايضا كان اقوام كقوم ادريس وقوم شيث
وادم وايضا فان نوحا عاش اكثر من الف سنة وكان القرن يموت ويحيى
اولاده والابا يوصون الابنا بالامتناع من الاتباع فكفى بقوم نوح امما
ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السما وامن به الف
انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب الثاني ان الاية
مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه القصص اكثرها المقصود
منه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا
خوفا من التعذيب فقال في اثنا حكاياتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب
قبلكم اقوام هلكوا فان كذبت فاني اخاف عليكم ان يقع منكم ما وقع بغيركم
وعلى هذا اقتصر الجلال المحلي والبقاعي وهذه الاية تدل كما قال ابن عادل
على انه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول اذا بلغ شيئا
ولم يبينه فلم يات بالبلاغ المبين اولم يروا اي ينظروا كيف يبدئ الله اي الذي
له كل كمال الخلق اي يخلقهم الله تعالى ابتداء نطفة ثم مضغة ثم علقة ثم
هو لا غيره يعيده اي الخلق كما كان ان ذلك اي المذكور من الخلق الاول
والثاني على الله اي الجامع لكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص يسير فكيف
ينكرون الثاني فان قيل متى راى الانسان بدا الخلق حتى يقال اولم يروا

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1